IUGJIS
Vol 27, No 2, 2019, pp 259 - 278

ISSN 2410-5201

مجلة الجامعة للدراسات الإسلامية (عقيدة – تفسير – حديث)

تاريخ الإرسال (2018-01-14)، تاريخ قبول النشر (2018-03-12)

شبهات حول أحاديث رؤية اللّه في الصحيحين والرد عليها من خلال القرآن الكريم

أ. صلاح علي عبد السلام[1]،*

أ.د. محمد عيد الصاحب[1]

[1] قسم أصول، الدين كلية الشريعة - الجامعة الأردنية، تخصص الحديث النبوي

* البريد الالكتروني للباحث المرسل:

E-mail address: brekawi1979@gmail.com

الملخص:

يتناول هذا البحث دراسة الشبهات المثارة حول أحاديث رؤية الله في الصحيحين، وذلك بهدف استقراء الشبهات ومناقشتها ونقدها، وإظهار دور القرآن الكريم في رد الشبهات عنها وتأييده لها.

وقد خلُص البحث إلى أن ما ذهب إليه المنتقدون في طعنهم في الأحاديث النبوية وتأويلاتهم للآيات القرآن الكريمية، لم تبن على أسس علمية صحيحة ولم نجد من وافقهم عليها من علماء أهل السنة.

وباعتبار أن رؤية الله جائزة شرعاً وعقلاً، ومتحققة لعباده المؤمنين في الآخرة، حيث تضافرت الآيات القرآن الكريمية وتواتر الأحاديث النبوية.

كلمات مفتاحية: القرآن الكريم، الحديث، شبهات، رؤية الله.

Doubts about the conversations of seeing God in the correct and respond to them through the Holy Quran

Abstract

This research examines the suspicions raised about the narrations of the vision of God in the correct, where it aims to extrapolate suspicions and discuss and criticize, and show the role of the Koran in support of the Hadiths and defend.

The research concluded that what the critics went through in their interpretations of the Quranic verses, we did not find those who agreed with them from the scholars of the Sunnah, and considering the vision of God in the Hereafter as a legitimate and reasoned reward, and that the Qur'anic verses were combined and the Prophetic traditions were frequent

Keywords: Quran, Hadith, suspicions, God's vision.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن أفضل ما يستفرغ العبد فيه الوقت في دنياه ليسعد في أُخراه؛ كتاب الله وسنة نبيه – ﷺ –، حيث يشرب من معينهما، ويستنشق شذى عبيرهما.

فعلم الحديث من العلوم الشريفة، وطلبه والاشتغال به شرف عظيم يكتسبه الإنسان بالبحث فيه، والبحث فيه يحتاج إلى صبر ونصب .

ولا سيما في متن الحديث الذي يحتـــــاج إلى دراســــــــــــــــة وتدقيق، وإن النظر في المتون ودراستها، وبيان معانيها في ضوء القرآن الكريم وردّ ما يثار حولها من شبهات، فهذه كلها من أمور الدين وفروض الكفايات على الأمة الإسلامية، وحتى نضرب بسهم فيها قمت بإعداد البحث راجياً التوفيق من الله تعالى.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في الإجابة على التساؤلات التالية:

1. هل اختلاف روايات أحاديث رؤية الله يعد قدحاً فيها؟
2. هل الدراسة الموضوعية لآيات القرآن الكريم تسهم في دفع الانتقاد عن الحديث؟
3. هل يعد تأويل آيات الرؤية علة قادحة لنقد الروايات؟
4. هل يعد طول الحديث وغرابة بعض ألفاظه قدحاً فيه؟

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى الآتي:

1. بيان مكانة السنة من القرآن الكريم .
2. دراسة الشبهات التي أُثيرت حول أحاديث الصحيحين ورد القرآن الكريم عليها .
3. بيان ما في آيات القرآن الكريم من تأييد لأحاديث رؤية الله .
4. توضيح المقصود من الطعون الموجهة لأحاديث الرؤية هي في الرؤية ذاتها أم في شبهة إدراكه سبحانه.

منهج البحث:

سلكت في هذا البحث المناهج الآتية:

أولا: المنهج التحليلي: حيث قمت بتحليل الشبهات وتتبع المقصد من إيرادها على أحاديث رؤية الله، ومعرفة اتجاهات مروجيها.

ثانيا: المنهج النقدي: وذلك بنقد الشبهات وتتبع مدى تطبيق الطاعنين لقواعد النقد وتفنيد الشبهات المخالفة لقواعد النقد والرد عليها من خلال القرآن الكريم.

حدود البحث:

1 – رد الشبهات عن أحاديث صحيحي البخاري ومسلم، وجمع روايات أحاديث الرؤية على حسب مخرج الحديث من الراوي.

2 – إيراد الشبهات بنصوصها إذا أمكن أو بمعناها مع الإحالة إلى مكان ورودها في كتب الطاعنين.

3 – التقيد بالشبهات التي يمكن الرد عليها من خلال القرآن الكريم.

الدراسات السابقة:

بعد الدراسة والبحث لم أجد من أفرد هذا الموضوع ببحث مستقل، وإنما وجد ضمن دراسات مبثوثة هنا وهناك، ومن هذه الدراسات:

1. تأويل مختلف الحديث، لابن قتيبة الدينوري، ط2، المكتب الاسلامي، مؤسسة الإشراق 1419هـ، 1999م.
2. مقدمة تحقيق كتاب رؤية الله للدارقطني، بتحقيق إبراهيم العلي، أحمد فخري الرفاعي، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، 1411 هـ.

يختلف هذا البحث عن هذه الدراسة من حيث:

أ – توظيف القرآن الكريم في ردّ الشبهات عن أحاديث الصحيحين في إثبات رؤية الله سبحانه وتعالى في الدار الآخرة من حيث الثبوت وعدمه.

وأما (مقدمة التحقيق) فقد حشد الباحث فيها أدلة من العقل والنقل، حيث لاحظت أن بعض الأدلة من الآيات القرآنية استشهد بها على إثبات رؤية الله تعالى، مثل قوله تعالى: {عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ} [المطففين: 23] ولم يقل بها أحد من المفسرين، وهذا لا ينفي إفادتي من هذه المقدمة في أكثر من موضع.

ب – إن (مقدمة التحقيق) لم يتطرق فيها المحققان للشبهات التي أثيرت حول أحاديث الصحيحين في موضوع رؤية الله تعالى، وإنما كان جُل ما ذَكَرا هو إثبات الرؤية في حقيقتها والخلاف العقدي الحاصل بين المثبتين والنافين، وهذا قضية عقدية ناقشها المحققان وأسهبا فيها وليست من صميم ما نحن بصدده في هذا البحث.

ج – إن دراستي هذه تبحث في توضيح دلالة نص السنة – الذي أثير حوله الشبهات – في إثبات رؤية الله، وأنها في نفس الدرجة في الحجية مع القرآن الكريم، وهذا ينفي المغامز والشبهات عن الأحاديث في موضوع الرؤية وفي غيرها.

أما غير هذه الدراسة لم أقف على دراسة تتشابه مع موضوع البحث سواء كان في الكتب أو الشبكة العنكبوتية، وما نقلته وأفدت منه في جل ما وقفت عليه فقد عزوت إليه في ثبت المصادر والمراجع.

خطة البحث:

قسمت البحث إلى مقدمة وتمهيد ومبحثين وجاءت على النحو الآتي:

المبحث الأول: جمع الروايات وبيان معانيها وضوابط فهمها.

المطلب الأول: جمع روايات الحديث بحسب المخرج.

المطلب الثاني: بيان معاني ألفاظ غريب الروايات.

المطلب الثالث: فهم الأحاديث في ضوء نصوص القرآن الكريم.

المطلب الرابع: التفريق بين أحاديث الغيب والشهادة.

المبحث الثاني: نصوص الشبهات حول أحاديث رؤية الله ومناقشتها.

المطلب الأول: التعريف بالطاعنين في الحديث قديماً وحديثاً.

المطلب الثاني: شبهة اختلاف الروايات ومناقشتها.

المطلب الثالث: التأويل البعيد لمعنى الإدراك.

المطلب الرابع: الرد على شبهة المنكرين.

المطلب الخامس: شبهة وصف الحديث بالغرابة والطول في المتن.

ثم الخاتمة وضمنتها أهم النتائج والتوصيات ثم قائمة المصادر والمراجع.

المبحث الأول: جمع الروايات وبيان معانيها وضوابط فهمها

نعرض في دراسة هذا المبحث إلى جمع الروايات على حسب مخرج الحديث من الراوي، لما في جمع الروايات من أهمية في فهم الحديث ودفع الشبهات عنه، ففي جمع الروايات يفهم الحديث الفهم الصحيح، ويُستفاد من اختلاف الألفاظ في تأويل المختلف، وفهم المشكل وبيان غريب الألفاظ، وفهم كل هذا في ضوء القرآن الكريم، فالسنة والقرآن الكريم يحتاج كل منهما للآخر، ولا يمكن فهمهما باستقلال بعضهما عن بعض، فمن ضوابط فهم السنة أن تُفهم في ضوء القرآن الكريم، وكذلك من الضوابط لفهم السنة التفريق بين الغيب والشهادة، لأن في عدم التفريق يحدث اللبس بين شيئين لا تشابه بينهما في القوانين ولا في الماهية، فمن خلال هذا المبحث نعرض بشيء من التفصيل لنكشف بعض جوانب الغموض والإشكالات الواردة حول الموضوع.

المطلب الأول: جمع روايات الحديث بحسب المخرج.

1 – عن جرير قال: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ نَظَرَ إِلَى القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ قَالَ: (إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ، لاَ تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لاَ تُغْلَبُوا عَلَى صَلاَةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَصَلاَةٍ قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ، فَافْعَلُوا) (1).

وفي رواية أخرى عن جرير قال: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ عِيَانًا)(2).

2 – عن أبي هريرة، أَنَّ نَاسًا قَالُوا لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ؟) قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: (هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟) قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: (فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ، كَذَلِكَ يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) (3)

3 – عن أبي سعيد الخدري، أَنَّ نَاسًا فِي زَمَنِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (نَعَمْ) قَالَ: (هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ بِالظَّهِيرَةِ صَحْوًا لَيْسَ مَعَهَا سَحَابٌ؟ وَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ صَحْوًا لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ؟) قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: (مَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا) (4).

4 – عن عبد اللّه بن قيس، أن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم قال: (جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ، آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ، آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِدَاءُ الكِبْرِ، عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ) (5).

5 – عن صهيب، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ

---

(1) البخاري: صحيح البخاري، التوحيد، {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ}، 127/9: رقم الحديث 7434.

(2) البخاري: صحيح البخاري، التوحيد، {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ}، 127/9: رقم الحديث 7434.

(3) مسلم: صحيح مسلم، الإيمان، معرفة طريق الرؤية، 163/1: رقم الحديث 182.

(4) البخاري: صحيح البخاري، تفسير القرآن الكريم، {إِنَّ اللَّهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ}، 44/6: رقم الحديث 4581.

(5) البخاري: صحيح البخاري، التفسير، {وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ}، 145/6: رقم الحديث 4878.

النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ) وعَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ وَزَادَ ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: {لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ} سورة يونس: 26 [(1)].

المطلب الثاني: بيان معاني ألفاظ غريب الروايات:

لا بد من توضيح المعاني الواردة في روايات الحديث إذ بمعرفة ألفاظها يتضح المعنى المراد ويرتفع ما يقع من لبس وإشكال.

وفيما يلي أذكر المعاني على النحو التالي:

قوله: (لا تضامون) قد رويت على ستة أوجه:

الوجه الأول: (**(لاَ تُضَامُونَ)**) بضم التاء وتخفيف الميم، وعليها أكثر الرواة، والمعنى: لا ينالكم ضيم، والضيم: الظلم، وهذا الضيم يلحق الرائي من وجهين:

أحدهما: من مزاحمة الناظرين له.

والثاني: من تأخره عن مقام الناظر المحقق، فكأن المتقدمين ضاموه، ورؤية الحق عز وجل يستوي فيها الكل ولا ضيم. وقال ابن الأنباري: الضيم: الذل والصغار، فكأنه يذل من سبق بالرؤية أو حرم تحقيقها، والأصل يضيمون فألقيت فتحة الياء على الضاد فصارت الياء ألفاً لانفتاح ما قبلها.

الوجه الثاني: (**لاَ تُضَامُّونَ**) بضم التاء وتشديد الميم.

الوجه الثالث: (**لَا تَضَامُّونَ**) بفتح التاء مع تشديد الميم. حكاهما الزجاج، وقال: المعنى فيهما: لا تتضامون: أي لا ينضم بعضكم إلى بعض، فيقول: هذا لهذا: أرأيته؟ كما تفعلون عند النظر إلى الهلال.

الوجه الرابع: (**لاَ تُضَارُّونَ**) بضم التاء.

الوجه الخامس: (**لاَ تَضَارُّونَ**) بفتح التاء والراء مكان الميم في الروايتين مشددة، ذكرهما الزجاج، وقال: المعنى:

لا تتضارون، أي لا يضار بعضكم بعضا بالمخالفة في ذلك، يقال: ضاررت الرجل أضاره مضارة وضرارا: إذا خالفته.

أي لا يضير ولا يضيم بعضكم بعضا بأن يدفعه عن ذلك أو يستأثر دونه.

الوجه السادس:(**لاَ تُضَارُونَ**) بضم التاء وتخفيف الراء. وقال ابن القاسم: تضارون تفعلون من الضير، والضير والضر واحد: أي لا يقع لكم في رؤيته ضر إما بالمخالفة والمنازعة، أو لخفاء المرئي.

قوله: (إِنَّكُم سَتَرَوْنَ ربكُم كَمَا ترَوْنَ هَذَا، لَا تضَامون فِي رُؤْيَته) هذا تشبيه بإيضاح الرؤية لا بالمرئي

قوله: (إنكم سترَون ربَّكم عِيانًا) ذكر العيان تأكيد للرؤية وتحقيق لها أي: ستُبصرون ربَّكم معاينةً جِهَارًا، و (ربَّكم): منصوب؛ لكونه مفعول (سترَون)، و(عِيانًا): مصدر في موضع الحال من (ربكم)، ويحتمل أن يكون من الضمير في (سترَون ربكم).

ومعنى المعاينة: رفع الحجاب بين الرائي والمَرئِي، ويجوز أن يكون مشتقًا من: العَين؛ أي: تُبصرون بأعينكم المحسوسة لا الباطنة

(1) مسلم: صحيح مسلم، الإيمان، إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى، 163/1: رقم الحديث 181.

قوله: (كما ترون) قال في جامع الأصول: قد يخيل إلى بعض السامعين أن الكاف في قوله: (كما ترون) كاف التشبيه للمرئي، وإنما هي كاف التشبيه للرؤية وهو فعل الرائي، ومعناه ترون رؤية ينزاح معها الشك كرؤيتكم القمر ليلة البدر لا ترتابون فيه ولا تمترون [1] .

قوله: (وَمَا بَيْنَ القَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِدَاءُ الكِبْرِ) يريد صفة الكبرياء والعظمة، فهو بكبريائه وعظمته لا يريد أن يراه أحد من خلقه بعد رؤية يوم القيامة حتى يأذن لهم في دخول جنة عدن ، فيروه فيها، وجنة عدن، أي : جنة إقامة، يقال: عدن بالمكان يعدن عدوناً أي : أقام [2].

المطلب الثالث: فهم الأحاديث في ضوء نصوص القرآن الكريم

يحتاج الباحث في السنة النبوية إلى ضوابط لفهمها الفهم الصحيح كما أرادها الله أن تكون، حتى لا يلتبس على الخلق مراد الله من تشريعاته، وبعيداً عن التحريف والانتحال وسوء التأويل كان من الواجب أن تفهم في ضوء القرآن الكريم في دائرة توجيهاته الربانية المقطوع بصدقها [3] .

فقد أخبر الله تعالى بتمام كلامه ورسالته، إن جميع ما أمر محمد صلى الله عليه وسلم بتبليغه هو الصدق والعدل ولا تبديل له قال تعالى: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ﴾ [الأنعام: 115]

يقول الدكتور يوسف القرضاوي: " البيان النبوي يدور أبداً في فلك الكتاب العزيز لا يتخطاه، ولهذا لا توجد سنة صحيحة ثابتة تعارض القرآن الكريم " [4].

وعلى هذا الأساس يجب أن تفهم السنة في ضوء القرآن الكريم.

ومن الأمثلة على ما قد يُساء فهمه من الأحاديث بعيداً عن القرآن الكريم حديث " إن أبي وأباك في النار "[5]

فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم هذا الحديث رداً على السائل الذي جاء يسأل عن أبيه أين هو، ومن المعلوم أن والد النبي صلى الله عليه وسلم لم يدرك الإسلام ولم تبلغه الدعوة وهو من أهل الفترة.

فقد تساءل القرضاوي عن ذنب من تبلغه الدعوة بقوله: " ما ذنب عبد المطلب حتى يكون في النار، وهو من أهل الفترة"[6].

---

(1) ينظر ابن الجوزي، كشف المشكل من حديث الصحيحين، ج429/1-430، المُظْهِري، المفاتيح في شرح المصابيح، ج24/6. الطيبي، الكاشف عن حقائق السنن، ج3575/11.

(2) ينظر البغوي، شرح السنة، ج217/15.

(3) القرضاوي، كيف نتعامل مع السنة النبوية؟، ص117.

(4) المرجع السابق، ص117.

(5) الحديث رجاله ثقات رجال الشيخين غير حماد- وهو ابن سلمة - فمن رجال مسلم، برقم (12192) ، وأخرجه مسلم (203) ، وأبو يعلى (3516) ، وأبو عوانة 99/1، وابن حبان (578) ، وابن منده في "الإيمان " (926) ، والبيهقي في "السنن الكبرى" 190/7، وفي "دلائل النبوة" 151/1 من طريق عفان بن مسلم، بهذا الإسناد.

(6) القرضاوي، كيف نتعامل مع السنة النبوية، ص117.

وقد وجه العلماء معنى الأب الوارد في الحديث توجيهاً لطيفاً مستساغاً، فتم فهمه في ضوء القرآن الكريم، حيث جاء لفظ "الأب" بأكثر من معنى " الأب المباشر، الجد، العم " حيث قال تعالى على لسان يوسف عليه السلام: ﴿ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [يوسف: 38].

فـ(الأب) في هذه الآية جاء بالمعاني الثلاثة، فيوسف أبوه المباشر يعقوب، وعمه إسحاق، وجده إبراهيم صلوات الله وسلامه عليهم جميعا.

ففي الحديث إذا حملنا لفظ الأب على العم يكون التأويل متسقاً مع كون عم النبي صلى الله عليه وسلم قد بلغته دعوة الإسلام ومات على غير الإسلام أن يكون من أهل النار.

المطلب الرابع: التفريق بين أحاديث الغيب والشهاد

إن من لوازم الفهم وضوابط فهم السنة أن نعرف الفرق بين عالم الغيب وعالم الشهادة، ونعلم إن الله سبحانه له غيب وشهادة في ملكوته ونصوص شرعه، والغيب عبارة عما بطن والشهادة عما ظهر، فالله هو العليم، وإذا أضيف إلى الغيب والأمور الباطنة فهو الخبير وإذا أضيف إلى الأمور الظاهرة فهو الشهيد (1).

والسنة النبوية هي الوحي الإلهي الذي أنزله الله سبحانه وتعالى إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ليبلغه للناس ويوضح لهم المعاني التي لم تعتدها وتفهمها عقولهم البشرية، بما أوتي من جوامع الكلم والبيان، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [القيامة: 18، 19].

ومن السنة ما هو متعلق بالغيبيات ومنها ما هو متعلق بالشهادة، كما جاء القرآن الكريم بالغيب والشهادة كذلك جاءت السنة النبوية للتوضيح والبيان لهذه النصوص الإلهية، التي وردت في القرآن الكريم واشتملت على الأمور الغيبية كالملائكة ووظائفهم والعرش والكرسي واللوح المحفوظ والقلم وكل ما يتعلق بالحياة البرزخية التي لم تعتدها عقول البشر ولا يمكنها إدراكها أو القياس عليها بما اعتادوه وألفوه، فقد سُئل الإمام أحمد عن الأحاديث التي تروى "أن الله تبارك وتعالى ينزل إلى السماء الدنيا" و"أن الله يضع قدمه" وما أشبه هذه الأحاديث، فقال: نؤمن بها، ونصدق بها ولا كيف، ولا معنى، ولا نرد منها شيئاً، ونعلم أن ما جاء به الرسول حق إذا كانت بأسانيد صحاح، ولا نرد على الله قوله، ولا يوصف بأكثر مما وصف به نفسه ولا حد ولا غاية، ليس كمثله شيء (2) .

فعقول البشر لا يمكنها أن تتصور أو تدرك الكيفيات من أمور الغيب من غير بيان من السنة لهذه الغيبيات، وكل هذه الأمور أو جُلها تعرَّض لها القرآن الكريم.

وإن من الواجب على المسلم أن يؤمن ويسلم بما ثبت وصح من الأخبار ولا يجوز ردها لمجرد مخالفتها ما اعتادوه أو مستحيلة عادة، فليس كل ما هو مستحيل عادة مستحيل عقلاً، وما دام في دائرة الممكن عقلا وهو غيب نؤمن به، والله قادر

---

(1) ينظر الغزالي، المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، ص126.

(2) الذهبي، العرش، ج1، 258.

على ما يشاء، وقد قرر علماؤنا أن الشرع قد يأتي بأمور تحير العقل، ولكن الشرع لا يأتي بما هو مستحيل عقلا، فلا تناقض بين صحيح المنقول وصريح المعقول [(1)].

وقد غالت بعض الفرق كالمعتزلة في رد بعض ما استبعدته عقولهم وخالف أصول اعتقادهم ومذاهبهم المغلوطة، ومن ذلك ردهم لأحاديث رؤية الله، وكما استبعد بعض الحداثيين حديث وصف شجر الجنة " إِنَّ فِي الجَنَّةِ شَجَرَةً، يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ، لاَ يَقْطَعُهَا" والحديث متفق عليه، وفي الحديث ما يؤيده من القرآن الكريم ، قال تعالى: ﴿وَظِلٍّ مَمْدُودٍ﴾ [الواقعة: 30] [(2)].

" والخطأ الأساسي الذي وقعوا فيه هو قياس الغائب على الشاهد، والآخرة على الأولى، وهو قياس مع الفارق، فلكل دار قوانينها وسننها " [(3)] .

المبحث الثاني: نصوص الشبهات حول أحاديث رؤية الله ومناقشتها

في هذا المبحث سأقوم بإيراد بعض الشبهات حول رؤية الله تعالى في الآخرة، التي ذكرها الطاعنون بنصوصها الواردة لفظاً أو بمعانيها، وما يفهم منها الطعن في رواية الحديث بتضعيفه أو رده أو التشكيك في أصله ومصدره، وقد استخدموا في ذلك قواعد في النقد لم يعرفها علماء نقد الحديث، مما جعل الدراسة لهذه الشبهات تحتاج إلى التعريف بالطاعنين قديماً وحديثاً، ليتبين هل هم من أهل هذا الفن أم هم عالة عليه، وهل لهم أسبابهم الخاصة في النقد، أم إنهم قد استندوا إلى قواعد علمية في رد الأحاديث، أم أن الأحاديث قد خالفت مذاهبهم وتوجهاتهم الفكرية غير المنضبطة بضوابط النقد العلمي فردوها، ولتوضيح ذلك يقوم هذا المبحث مع مطالبه بعرض الشبهات ومنا قشتها فيما يلي.

المطلب الأول: التعريف بالطاعنين في أحاديث الرؤية قديماً وحديثاً.

إن الطاعنين في السنة النبوية قد تعددت مشاربهم، واختلفت أجناسهم، ولكنها قد اجتمعت واتفقت أهدافهم، وهذه الأهداف واضحة من خلال كتاباتهم، ومن تتبع انتقاداتهم يجدها ثقيلة على أهل الإسلام وخفيفة على أعدائه، فعبارتهم على رواة الحديث من الصحابة والتابعين ومن تبعهم في غاية التهكم والتكذيب بحجة الموضوعية وعدم التقديس للبشر والنصوص غير القرآن الكريم، وهؤلاء قديماً وحديثاً هدفهم وأحد.

فهدفهم منذ صدر الإسلام الأول مع اختلاف أسمائهم وأساليبهم وتوجهاتهم هو التشكيك في مصادر الشريعة وخصوصاً السنة النبوية، فتارة بطريقة التشكيك في ثبوتها وأنها آحاد وليست متواترة، وتارة أخرى عن طريق اختلاف الروايات وأنها لا تتماشى مع الواقع والعقل، ويقول الغزالي: (وإن من تغلغل من الفلاسفة وغلاة المعتزلة في تصرف العقل حتى صادموا به قواطع الشرع، ما أتوا به إلا من خبث الضمائر، فميل أولئك إلى التفريط وميل هؤلاء إلى الافراط، وكلاهما بعيد عن الحزم

---

(1) ينظر القرضاوي، كيف نتعامل مع السنة النبوية؟، ص191.

(2) المرجع السابق، ص192.

(3) ينظر القرضاوي، كيف نتعامل مع السنة النبوية؟، ص192.

والاحتياط)[1]، وقد حمل لواء هذا التهجم قديماً " النظّام" ومن على شاكلته، ولقد تصدى لهم في ذلك الوقت ابن قتيبة من خلال كتابه تأويل مختلف الحديث[2] ، وسأذكر على سبيل المثال بعض من طعن في الأحاديث قديماً وحديثاً ممن أوردوا الشبهات حول أحاديث رؤية الله سبحانه وتعالى.

أولا: الطاعنون في أحاديث رؤية الله قديماً:

* **المعتزلة:**

إن للمعتزلة اعتقادات وأصول لمذهبهم قد ردوا من خلالها نصوص ثابتة وصحيحة، ومن معتقداتهم، أن الله تعالى قديم، والقدم أخص وصف ذاته، ونفوا الصفات القديمة أصلاً، فقالوا: هو عالم بذاته، قادر بذاته، حي بذاته؛ لا بعلم وقدرة وحياة، واتفقوا على أن كلامه محدث مخلوق ، واتفقوا على أن الإرادة والسمع والبصر ليست معاني قائمة بذاته، واتفقوا على نفي رؤية الله تعالى بالأبصار في دار القرار، ونفي التشبيه عنه من كل وجه: جهة، ومكاناً، وصورة، وجسماً، وتحيزاً، وانتقالاً، وزوالاً، وتغيراً، وتأثراً، وأوجبوا تأويل الآيات المتشابهة فيها، وسموا هذا توحيداً [3].

* **النظَّام:**

هو إبراهيم بن سيّار بن هانئ البصري، أبو إسحاق النظّام، من أئمة المعتزلة، تبحر في علوم الفلسفة واطلع على أكثر ما كتبه رجالها ، وانفرد بآراء خاصة تابعته فيها فرقة من المعتزلة سميت (النظّامية) نسبة إليه [4].

ثانياً: الطاعنون في أحاديث رؤية الله حديثاً:

* **محمد صادق النجمي**، وهو من علماء الحوزة العلمية في مدينة قم بالجمهورية الإيرانية، لم يُعرف عنه مدارسة أو مذاكرة مع علماء أهل السنة والجماعة، قد ألّف كتاب(أضواء على الصحيحين) شجعه عليه مشايخه على تأليف هذا الكتاب ، وقد ترجمه من اللغة الفارسية إلى اللغة العربية يحيى كمالي البحراني، وطبعت نسخته العربية سنة 1419 ه في مؤسسة المعارف الإسلامية في مدينة قم [5] .

* **الكردي: هو إسماعيل الكردي**، لقد انتقد أحاديث الصحيحين بحجة أنها لا تتماشى مع العصر وهو ليس من أهل التخصص في علم الحديث، ولقد اعتمد في انتقاداته الموجهة للصحيحين على شبهه المزعومة، وقد تأثر بمنهج المعتزلة الذين مجدوا العقل وأعطوه مجالاً واسعاً فاق حدوده، وجعلوه مقدماً على النص النبوي، وكتابه – " نحو تفعيل قواعد نقد متن الحديث " دراسة تطبيقية لبعض أحاديث الصحيحين – خير شاهد على عدائه للسنة النبوية، وقد ادعى أنه أراد بهذا الكتاب صياغة كتب

---

(1) الغزالي، الاقتصاد في الاعتقاد، ص9.

(2) أبو شُهبة، دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين، ص7.

(3) ينظر الشهرستاني، الملل والنحل، ج1، 454

(4) ينظر الزركلي، الأعلام، ج1، 43.

(5) ينظر الحروب، شبهات المعاصرين من الشيعة حول أحاديث الأنبياء في الصحيحين، ص40.

التراث صياغة تتمشى مع الواقع، والتغيير في عصر الكمبيوتر والعولمة حسب فهمه [1] .

* **محمد جواد خليل**، كاتب عراقي لم نجد له ترجمة في كتبه ولا في غيرها وله، مؤلفات مطبوعة وهي على النحو التالي:

1 – هل مات النبي مسموماً ولماذا جردوه من أكفانه؟

2 – أبو طالب حامي الرسول صلى الله عليه وسلم وعظيم الإسلام.

3 – روايات الحميدي أبكت البخاري.

4 – كشف المتواري في صحيح البخاري، ويقع في ثلاثة أجزاء.

5 – المستدرك على كشف المتواري في صحيح البخاري.

6 – صحيح مسلم بين القداسة والموضوعية.

7 – معلومات متنوعة حول القرآن الكريم.

ومن خلال كتاباته نجد اضطراباً في المنهج وخللاً في التوثيق، ومزاعم على الصحيحين، حيث جاء على الرواة الأكثر رواية ليتهمهم بالكذب وهم صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجاء في خاتمة الجزء الأول من كتابه " كشف المتواري " فقال ما نصه: " إن هذا الدوسي – أعني أبا هريرة – لم يهدأ له بال حتى وضع حديثاً في قومه من الوزن الثقيل ... وكم كان هذا الدوسي نشطاً في وضعه للحديث فكلما أراد شيئا وضع فيه حديثاً " [2]

فهذه العبارة تكفي في الشهادة عليه من كتابه بأنه متحامل يضمر العداء للحديث النبوي وأهله، فمن درس علم الحديث علم من الأساسيات في علم الحديث أن الكذاب لا يقبل حديثه مطلقاً، ولو تاب فتوبته له، ولا يقبل حديثه.

المطلب الثاني: شبهة اختلاف الروايات ومناقشتها

من الشبه الواردة حول أحاديث رؤية الله تعالى تنوع رواياتها واختلاف ألفاظها، وعُدّ ذلك مغمزاً فيها، بل قالوا إن هذا دليل على عدم صحتها.

يقول محمد جواد خليل: " وفيها أيضاً اختلاف قول أبي هريرة وأبي سعيد الخدري وهما في مجلس واحد !! وهو قول أبي هريرة (لك ومثله) وقول أبو سعيد الخدري: (وعشرة أمثالها)!! " [3] وقوله: (فيها) عائد على الروايات التي أوردها في كتابه.

الرد على هذه الشبهة:

إن الوصول إلى التأصيل الشرعي لأي مسألة يحتاج من الباحث الرجوع إلى أصول الشريعة من القرآن الكريم والسنة الشريفة؛ ليتبين منهما الأدلة الدالة على قضية دفع الشبهات [4].

---

(1) ينظر الحروب، شبهات المعاصرين من الشيعة حول أحاديث الأنبياء في الصحيحين، ص40. العزام، دفاع عن الصحيحين ردا على كتاب إسماعيل الكردي، ص13 – 15.

(2) خليل، كشف المتواري، ص513.

(3) ينظر خليل، كشف المتواري في صحيح البخاري، ج3،454.

(4) ينظر العمري، ضوابط الدفاع عن الصحابة رضي الله عنهم دراسةً تأصيليةً، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية، ص95.

إن هذا التنوع في الروايات نجده في أسلوب القرآن الكريم، فنجد القصة الواحدة قد تكررت مع اختلاف ألفاظها وأساليبها حسب ما تدعو إليه الحاجة، وتقتضيه المصلحة، ولا يكون هذا التكرار على وجه واحد، بل يختلف في الطول والقصر واللين والشدة، وذكر بعض جوانب القصة في موضع دون آخر.

وقد ذكر العلماء لهذا التكرار حكماً وفوائد كثيرة، نذكر منها:

1- بيان أهمية تلك القصة لأن تكرارها يدل على العناية بها.

2- توكيد تلك القصة لتثبت في قلوب الناس.

3- مراعاة الزمن وحال المخاطبين بها، ولهذا تجد الإيجاز والشدة غالباً فيما أتى من القصص في السور المكية والعكس فيما أتى في السور المدنية.

4- بيان بلاغة القرآن الكريم في ظهور هذه القصص على هذا الوجه وذاك الوجه على ما تقضيه الحال.

5- ظهور صدق القرآن الكريم، وأنه من عند الله تعالى، حيث تأتي هذه القصص متنوعة بدون تناقض [1] .

وبذلك يتضح أن للتكرار في لغة العرب معاني وفوائد ولطائف جميلة، واللغة العربية في القرآن الكريم هي اللغة ذاتها في الحديث النبوي الشريف.

المطلب الثاني: التأويل البعيد لمعنى الإدراك:

لقد أورد محمد صادق النجمي شبهات على حديث الرؤية مستنكراً لها بقوله: "إن لله تعالى مكاناً خاصاً يظهر عياناً أمام أعين العباد، و إن لله تعالى صوراً مختلفة وأشكالاً متعددة ، يعرف العباد بعضها وينكرون بعضها الآخر، فإذا جاءهم في الصورة التي يعرفونه بها اتبعوه" [2] .

الرد على هذه الشبهة:

وردت آيات واضحة وصريحة تدل على أن رؤية الله سبحانه ممكنة وجائزة شرعاً وعقلاً، ولو سلمنا بقول من قال إن معنى قوله تعالى: {لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ} سورة الأنعام: 103. أي لا تراه، وإن قوله: {لَن تَرَانِي} سورة الأعراف: 143. نفي مطلق للرؤية في الدنيا والآخرة، لسلمنا بتعارض آيات القرآن الكريم، وهذ لا يمكن أن يكون، ولا يقول به عاقل فضلاً عن أن يقول به مسلم.

والاستدلال بقوله تعالى: {لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ} على نفي رؤية الله في الدنيا للعباد ليس محل خلاف، ولا خلاف كذلك في أن أبصار الناس التي خلقوا بها في الدنيا لا تمكنهم من النظر إلى الله جل في علاه، ولكن هذا لا يمنع من تغير الأبصار من العجز عن النظر إلى القدرة عليه، والعجز عن رؤية الله من غير حجاب في الدنيا أمرٌ واقع، وقد سأل موسى ربه أن يراه فأجابه جل جلاله بمعرفته بحاله وعجزه عن أن يراه في الدنيا بما يملك من بصر قاصر في خِلقته التي خُلق عليها، بقوله تعالى: {لَن

(1) ينظر السيوطي، الإتقان في علوم القرآن الكريم، ج2،184، العثيمين، أصول في التفسير، ص52.

(2) ينظر النجمي، أضواء على الصحيحين، ص 137 – 138.

تَرَانِي} لأن هذا البصر غير مؤهل لرؤية الله تعالى.

وأما الاستدلال بقوله تعالى: {لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ} سورة الأنعام: 103، على منع الرؤية في الآخرة فهذا هو محل الخلاف.

ويمكن الرد على هذا الاستدلال من وجهين:

الأول: نفي الإدراك لا يقتضي نفي مطلق الرؤية الثابتة في القرآن الكريم، كقوله: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةَ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةَ} سورة القيامة: 22 – 23 ، وقوله: {لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ} سورة يونس: 26 ، والحسنى: الجنة، والزيادة: رؤية الله، فقد ثبت في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم فسَّرها بذلك، حيث تلا قول الله سبحانه وتعالى: {لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ}[1] يقول البيهقي: "وقد فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم المبين عن الله عز وجل، فمن بعده من الصحابة الذين أخذوا عنه، والتابعين الذين أخذوا عن الصحابة أن الزيادة في هذه الآية النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى، وانتشر عنه وعنهم إثبات رؤية الله عز وجل في الآخرة بالأبصار"[2] سورة يونس: 26، قال: (إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ نَادَى مُنَادٍ: إِنَّ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ مَوْعِدًا، قَالُوا: أَلَمْ يُبَيِّضْ وُجُوهَنَا وَيُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ وَيُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ؟ قَالُوا: بَلَى، فَيُكْشَفُ الْحِجَابُ، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا أَعْطَاهُمْ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِ)، [3] وليس أحد أعلم بمراد الله في كلامه من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولأهمية ذلك ترجم البخاري باباً بقول الله تعالى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةَ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةَ} سورة القيامة: 22 – 23، [4] وذكر فيه الروايات الواردة في رؤية الله سبحانه وتعالى، وفي اختيار البخاري لهذه الآية دلالة على سعة فقهه ودقة استنباطه.

وكقوله تعالى: {كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُون} سورة المطففين: 15، " حيث يفهم منه أن المؤمنين ليسوا محجوبين عنه، وهو كذلك " [5].

الثاني: وعلى القول بأن الإدراك من معانيه النظر، فإن الله سبحانه وتعالى قادر أن يغير الخلق بما يؤهلهم لما عجزوا عنه في الدنيا، فيكون ممكنا لهم في الآخرة، وهذا التغيير حاصل لا محالة للإنسان بعد الموت، والآيات الدالة على ذلك كثيرة منها قوله تعالى: {فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيد} سورة ق: 22، وقوله: {الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُون} سورة يس: 65.

وبعد هذا لا مجال للقول بأن تغيير البصر من العجز والضعف إلى القوة أمر مستحيل عقلاً أو شرعاً، ولوكان ذلك كذلك لما سأل موسى ربه أن ينظر إليه وهو يعلم أن هذا الامرَ غيرُ ممكن ، ولو كان سؤالُه غير جائز لنهاه ربه وأرشده إلى ما يجوز.

ونظير هذه الآية قوله تعالى: {فَلَمَّا تَرَاءى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُون قَالَ كَلاَّ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِين} سورة

---

(1) البخاري: صحيح البخاري، ج9،12 .

(2) البيهقي، الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث، ص123.

(3) الترمذي: سنن الترمذي، صفة الجنة، ما جاء في رؤية الرب تبارك وتعالى، رقم الحديث: 2552، وإسناده صحيح على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين غير حماد بن سلمة، فمن رجال مسلم، وأخرجه أحمد 333/4، وأبو عوانة 156/1، وابن منده في "الإيمان" "783" من طرق عن عفان، بهذا الإسناد، وقال الترمذي: هذا حديث إنما أسنده حماد بن سلمة ورفعه، وروى سليمان بن المغيرة وحماد بن زيد هذا الحديث عن ثابت البناني عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قوله. وقال الألباني صحيح.

(4) صحيح البخاري، ج9، 12 .

(5) الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن الكريم بالقرآن الكريم، ج1، 489 .

الشعراء :61، 62.

قال ابن حزم: " ففرَّق الله تعالى بين الإدراك والرؤية فرقاً جلياً؛ لأنه تعالى أثبت الرؤية بقوله: {فَلَمَّا تَرَاءى الْجَمْعَانِ} سورة الشعراء :61،... وأخبر تعالى أنه رأى بعضهم بعضاً، فصحت منهم الرؤية لبني إسرائيل، ونفى الله الإدراك بقول موسى عليه السلام : {قَالَ كَلاَّ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ} سورة الشعراء :62، فأخبر تعالى أنه رأى أصحاب فرعون بني إسرائيل، ولم يدركوهم، ولا شك أن ما نفاه الله عز وجل غير الذي أثبته، فالإدراك غير الرؤية " [1].

قال الزجاج : " فأما ما جاء من الأخبار في الرؤية، وصح عن رسول الله فغير مدفوع ، وليس في هذه الآية دليل على دفعه ؛ لأن معنى هذه الآية معنى إدراك الشيء والإحاطة بحقيقته ، وهذا مذهب أهل السنة والعلم والحديث " [2].

قوله: "{لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ} سورة الأنعام: 103، إنما نفى الإدراك الذي هو الإحاطة كما قاله أكثر العلماء ولم ينف مجرد الرؤية؛ لأن المعدوم لا يرى وليس في كونه لا يرى مدح؛ إذ لو كان كذلك لكان المعدوم ممدوحاً وإنما المدح في كونه لا يحاط به وإن رُئي؛ كما أنه لا يحاط به وإن عُلم فكما أنه إذا عُلم لا يحاط به علماً: فكذلك إذا رُئي لا يحاط به رؤية فكان في نفي الإدراك من إثبات عظمته ما يكون مدحاً وصفة كمال وكان ذلك دليلاً على إثبات الرؤية لا على نفيها لكنه دليل على إثبات الرؤية مع عدم الإحاطة وهذا هو الحق الذي اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها" [3].

فالاحتجاج بقوله تعالى: {لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ} سورة الأنعام: 103، احتجاج ضعيف جداً خارج عن مقتضى الآية والأخبار [4].

وقد أنكر الطبري هذا الاستدلال بقوله: " واعتلوا بقولهم هذا بأن الله – تعالى ذكره – نفى عن الأبصار أن تدركه"[5]. {لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ} الآية، أشار في مواضع أخر إلى أن نفي الإدراك المذكور هنا لا يقتضي نفي مطلق الرؤية، كقوله: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} سورة القيامة: 22 – 23).[6] ولو سلمّنا لهم بأن الإدراك من معانيه الرؤية فإن قوله تعالى: {لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ} سورة الأنعام: 103، محمول على نفي الرؤية في الدنيا، بدليل ما جاء في الأحاديث الصحيحة، والصريحة التي تؤكد وقوع الرؤية في الآخرة، وما أجمع عليه أهل العلم من رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة، كما سبق [7].

قال ابن قتيبة: " وأما قوله تعالى: {لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ} سورة الأنعام: 103، ... فليس ناقضاً لقول

(1) ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج2،3.

(2) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج279،2.

(3) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج36،3.

(4) ينظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 9، 108 ، ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،ج330،2، الزمخشري الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج662،4 .

(5) الطبري، جامع البيان، ج 20،12 .

(6) الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج 489،1 .

(7) ينظر جامع البيان، ج464،9، الماوردي، النكت والعيون، ج125،2، ابن عطية، المحرر الوجيز، ج330،2، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج309،3.

رسول الله – صلى الله عليه وسلم – (ترون ربكم يوم القيامة)؛ لأنه أراد عز وجل بقوله: {لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ} في الدنيا " [1].

المطلب الثالث: الرد على شبهة المنكرين

1 – فسَّر الزمخشري قوله تعالى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةَ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَة} سورة القيامة: 22 – 23 ، أنها تنظر إلى الله نظرة خاصة، أي لا تنظر إلى ما سواه، أو النظر بمعنى الانتظار، مستنداً في ذلك على قول مجاهد حيث قال بأنها تنتظر ثواب ربها، وفي تأويله للآية بهذا المعني صرف له من الحقيقة إلى المجاز [2].

وردُ عليه بأن (نظر) في هذه الآية متعدية بـــ(إلى)، وهذه لا تعني إلا النظر بالعين، وأما (نظر) بمعنى انتظر فإنها متعدية بنفسها قال تعالى: {هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ} سورة الزخرف: 66، {هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ} سورة الأعراف: 53، {مَا يَنظُرُونَ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً} سورة يس: 49.

وإن أُريد به التفكر والتدبر عُدِّي بـــ(في) قالوا: نظرت في الأمر، والنظر في هذه الآية معدى بـــ(إلى) فلا يكون إلا بمعنى الرؤية والعيان [3].

2 – وقد استدل المعتزلة على نفي الرؤية لله بالأبصار يوم القيامة بقوله سبحانه وتعالى على لسان موسى عليه السلام: {قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي} سورة الأعراف: 143، وإن نفي الرؤية في الآية إنما هو في الدنيا وليس المقصود به في الدار الآخرة [4].

فالآيات المتظافرة في الدلالة على رؤية الله في الآخرة كافية في الدفاع عن الأحاديث الواردة في الرؤية من حيث موضوعها وثبوت رواياتها.

وإن قال قائل ما السبب في عقاب الله للذين سألوا موسى رؤية الله سبحانه وتعالى واستعظام ذلك منهم في قوله تعالى: {وَإِذْ قُلْتُمْ يَامُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُون} سورة البقر ة: 55.

فقد أجاب عنه المفسرون بعدة احتمالات:

أحدها: أن رؤية الله تعالى لا تحصل إلا في الآخرة، فكان طلبها في الدنيا مستنكراً.

وثانيها: أن حكم الله تعالى أن يزيل التكليف عن العبد حال ما يرى الله فكان طلب الرؤية طلباً لإزالة التكليف وهذا على قول المعتزلة أولى، لأن الرؤية تتضمن العلم الضروري والعلم الضروري ينافي التكليف.

وثالثها: أنه لما تمت الدلائل على صدق المدعي كان طلب الدلائل الزائدة تعنتاً والمتعنت يستوجب التعنيف.

---

(1) ينظر ابن قتيبة، تأويل مختلف الحديث، ص 298.

(2) ينظر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج4،662 .

(3) ينظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج19،109 .

(4) ينظر الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج 2،40 .

ورابعهاً: لا يمتنع أن يعلم الله تعالى أن في منع الخلق عن رؤيته سبحانه في الدنيا ضرباً من المصلحة المهمة، فلذلك استنكر طلب الرؤية في الدنيا كما علم أن في إنزال الكتاب من السماء وإنزال الملائكة من السماء مفسدة عظيمة فلذلك استنكر طلب ذلك والله أعلم (1).

وادعاء أن الله شيء يرى بالعين التي ترى الأشياء بطريقة الانعكاس لم تثبت في الروايات، والله أعلم بكيفية الرؤية وتفصيلاتها الدقيقة.

3 – من الشبه الواردة على رؤية الله أن رؤيته تشبيه له بخلقه، مستدلين بقوله تعالى: {لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِير} سورة الأنعام:103، قائلين بأن رؤية الله غير جائزة، ومن أجازها فقد شبَّه الله بخلقه، فهم بتأويلهم هذا عارضوا آيات صريحة وردوا أحاديث صحيحة متواترة تثبت رؤية الله تعالى، وفي قولهم لذلك يجعلون موسى – عليه السلام – من هؤلاء، حيث سأل موسى رؤية ربه، فقال تعالى على لسانه: {رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ} سورة الأعراف: 143.

وسؤاله – عليه السلام – يدل على أن الرؤية جائزة، وإن كانت غير ممكنة في الدنيا، وما طلبُ موسى ذلك بتشبيه ولا تعطيل، وما كان لموسى كليم الله ليجهل مثل هذا، ولكن موسى علم أن الله يُرى في الآخرة، فأراد أن يخصه الله بهذه الكرامة في الدنيا (2).

وأما قوله: {لَن تَرَانِي} سورة الأعراف: 143 ، يعني في الدنيا، وإن علة عدم الرؤية هي عدم تحمله الموقف، ولكن أمره ربه أن ينظر إلى الجبل، وهو أقوى منه تحملاً فقال: {وَلَـكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ} سورة الأعراف: 143، فلما ضعف الجبل عن التحمل، فابن آدم أحرى ألا يتحمل ذلك الأمر في الدنيا، ولكن يوم القيامة يعطى ما يقوى به على النظر ويُكشف عن بصره الغطاء الذي كان في الدنيا (3).

فإنه إذا جاز أن يتجلى للجبل الذي هو جماد لا ثواب له ولا عقاب عليه فكيف يمتنع أن يتجلى لأنبيائه ورسله وأوليائه في دار كرامتهم ويريهم نفسه فأعلم سبحانه وتعالى موسى أن الجبل إذا لم يثبت لرؤيته في هذه الدار فالبشر أضعف (4).

ويفيدنا هذا الأمر أن الله لم ينكر عليه سؤاله، بل منعه الرؤية ولو كان سؤاله موسى غير جائز لنهاه ربه عن ذلك، فهذا نبي الله نوح – عليه السلام – لما سأل ربه نجاة ابنه {وَنَادَى نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابُنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِين} سورة هود: 45، فأنكر الله عليه ذلك بقوله: {قَالَ يَانُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلاَ تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِين قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِين} سورة هود: 46 – 47.

(1) ينظر الرازي، مفاتيح الغيب = التفسير الكبيرـ، ج3،502 .

(2) ينظر ابن قتيبة، تأويل مختلف الحديث، ص300. الطبري، جامع البيان، ج9،459، إبراهيم العلي، أحمد فخري الرفاعي، مقدمة كتاب رؤية الله للدارقطني، ص51.

(3) ينظر ابن قتيبة، تأويل مختلف الحديث، ص300.

(4) ينظر ابن القيم، حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، ص287

المطلب الرابع: شبهة وصف الحديث بالغرابة والطول في المتن [(1)] .

إن طول بعض الأحاديث أو غرابة بعض ألفاظها لا يعد مغمزاً فيها، فقد جاء مثل ذلك في القرآن الكريم، فترد القصة في بعض المواضع طويلة وفي بعضها قصيرة.

وأحاديث الرؤية متواترة، حيث بلغ عدد رواتها ثمان وعشرون صحابيا، نقلوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واتفقوا على ثبوته، ونقل هذا التواتر جمع من العلماء ولم يشتهر عن غيرهم خلاف ذلك فكان إجماعاً [(2)] .

فلا مجال لوصفها بالغرابة أو الوضع، وهذا التواتر كتواتر القرآن الكريم، يقول ابن كثير: " وأما السنة فقد تواترت الأخبار عن أبي سعيد الخدري، وأبي هريرة ، وأنس، وجرير، وصهيب، وبلال، وغير واحد من الصحابة، عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أن المؤمنين يرون الله في الدار الآخرة، في العرصات، وفي روضات الجنات، جعلنا الله تعالى منهم بمنه وكرمه، آمين " [(3)] .

والتواتر هو ما نقله عدد كثير أحالت العادة تواطؤهم وتوافقهم على الكذب، ورووا ذلك عن مثلهم من الابتداء إلى الانتهاء، وكان مستند انتهائهم الحس، وعلى هذا فالتواتر يفيد العلم اليقيني، الذي هو الاعتقاد الجازم المطابق، وهو الذي يحصل للإنسان دون بحث ونظر بحيث لا يمكنه دفعه [(4)].

وتواتر الأحاديث صنعة يعلمها من له اطلاع بعلوم الحديث، حيث إنه مبحث من مباحث علوم الحديث، وفي هذا الصدد يقول الإمام مسلم رحمه الله تعالى: " وقد تكلم بعض منتحلي الحديث من أهل عصرنا في تصحيح الأسانيد وتسقيمها بقول لو ضربنا عن حكايته، وذكر فساده صفحاً لكان رأياً متيناً، ومذهباً صحيحاً، إذ الإعراض عن القول المطرح أحرى لإماتته، وإخمال ذكر قائله، وأجدر أن لا يكون ذلك تنبيها للجهال عليه، غير أنا لما تخوفنا من شرور العواقب، واغترار الجهلة بمحدثات الأمور، وإسراعهم إلى اعتقاد خطأ المخطئين، والأقوال الساقطة عند العلماء، رأينا الكشف عن فساد قوله ورد مقالته بقدر ما يليق بها من الرد، أجدى على الأنام، وأحمد للعاقبة إن شاء الله " [(5)].

وإذا لم يسلم الطاعنون بهذا التواتر وجدوا أمامهم إجماع العلماء على إثبات أحاديث رؤية الله تعالى كما نص على ذلك الدارمي [(6)].

وأما إذا قُصد بالغرابة الإتيان بما يخالف العقل والنقل فهذا مردود لعدة أسباب:

الأول: إن رؤية الله سبحانه وتعالى غير مستحيلة عقلاً ولا شرعاً وإلا فكيف لموسى أن يسأل ربه النظر إليه وهو مستحيل عقلاً وشرعاً، فهل يمكن أن يخالف موسى ربه في أمر من أمور العقيدة وهو كليم الله ونبيه المرسل.

الثاني: إن موضوع الرؤية قد ورد ذكره في القرآن الكريم وفي آيات عديدة بالتصريح تارة وبالإشارة تارة أخرى، والأحاديث الشريفة كذلك.

---

(1) ينظر الكردي، نحو تفعيل قواعد نقد الحديث، ص200 – 202 .

(2) ينظر الكتاني، نظم المتناثر في الحديث المتواتر، ص 239.

(3) ينظر ابن كثير، تفسير القرآن الكريم العظيم، ج3،309. الكتاني، نظم المتناثر في الحديث المتواتر، ص 239.

(4) ينظر ابن حجر، نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر، ص 43 – 44.

(5) مسلم، صحيح مسلم، ج1،28.

(6) ينظر الدارمي، الرد على الجهمية، ص 103.

ومما سبق يتضح أن الأحاديث موافقة للآيات القرآنية من حيث التواتر، والآيات القرآنية مؤيدة للأحاديث في ثبوت موضوع الرؤية، فما أثير من شبهات حول الأحاديث بغية ردها قول لا يلتفت إليه.

الخاتمة

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات، وأزكى وأفضل الصلوات على نبينا محمد المبعوث رحمة للكائنات، وعلى آله وصحبه أولي المناقب العاليات.

أما بعد..

فبعد هذه الجولة في ربوع هذا البحث توصلت إلى نتائج وتوصيات جاءت على النحو التالي:

أولا: النتائج:

1. إن رؤية الله في الآخرة ثابتة في الكتاب والسنة وإجماع أهل العلم.
2. إن الروايات المطعون فيها في قضية رؤية الله متواترة وفي أعلى درجات الصحة، ولا يعد اختلافها طعناً فيها.
3. إن في القرآن الكريم كفاية في الرد على الطعون الموجه لأحاديث رؤية الله تعالى.
4. ما استدل به النافون لرؤية الله تعالى(الإدراك) الوارد في الآية قد حُدِّد مفهومه في آية أخرى.
5. تبين من خلال هذا البحث أن أصحاب الطعون قد رتَّبوا على الحديث تفصيلات وجزئيات لم تذكرها الروايات.
6. ما ذهب إليه المنتقدون من تأويل للآيات لم نجد من وافقهم عليه من أهل السنة والجماعة.

ثانيا: التوصيات:

1. تخصيص دراسة مستقلة لقضايا العقيدة التي وردت في الصحيحين وربطها بالقرآن الكريم، ودراستها من خلاله.
2. أن تقوم دراسة على جمع الشبهات والمطاعن ومعرفة منطلق أصحابها ومشاربهم ومللهم واتجاهاتهم الفكرية.
3. يجب التنبه عند دراسة الشبهات لأنواع الشبهات، والتفريق بين ما هو شبهة في ذات الموضوع وبين ما هو شبهة للطعن في الأحاديث، ومعرفة ما يقوم به أصحاب الشبهات من خلط في المفاهيم والموضوعات، لغرض ضرب الأحاديث الصحيحة.
4. إنشاء مراكز علمية ووسائل إعلامية وتوظيفها في الرد على الشبهات المثارة حول السنة عموماً وأحاديث الصحيحين خصوصاً، ممن له علم ودراية متخصصة وإدراك واسع لما يحاك للسنة من دسائس وشبهات.

قائمة المصادر والمراجع

ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج، (د. ت). *كشف المشكل من حديث الصحيحين*، تحقيق: علي حسين البواب. (د. ط). الرياض: دار الوطن.

ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج، 1405ه 1985م. *غريب الحديث*، تحقيق: الدكتور عبد المعطي أمين القلعجي، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن القيم، محمد بن أبي بكر (د. ت)، *حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح*. (د. ط). القاهرة: مطبعة المدني.

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. 1416هـ/1995م. *مجموع الفتاوى*، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم. (د. ط) المدينة النبوية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

ابن حجر، أحمد بن علي، 1421هـ/2000م. *نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر*. تحقيق نور الدين عتر، ط3، دمشق: مطبعة الصباح.

ابن حزم، علي بن أحمد. (د. ت). *الفصل في الملل والأهواء والنحل*. (د. ط) القاهرة: مكتبة الخانجي.

ابن حنبل، أحمد بن محمد. 1421هـ/2001م. *المسند*. تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة.

ابن عطية، عبد الحق بن غالب، 1422ه. *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*. تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي محمد، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم. 1419هـ، 1999م. *تأويل مختلف الحديث*، ط2، بيروت: المكتب الاسلامي.

ابن كثير، اسماعيل بن عمر. 1419هـ. *تفسير القرآن العظيم*، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية.

إسماعيل الكردي. (د. ت). *نحو تفعيل قواعد نقد الحديث*، ط1، دمشق: الأوائل للنشر والتوزيع.

البخاري، محمد بن إسماعيل. 1422هـ. *الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه*، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط1، دار طوق النجاة.

البغوى، الحسين بن مسعود. 1403هـ - 1983م. *شرح السنة*، تحقيق شعيب الأرناؤوط - محمد زهير الشاويش، ط2، بيروت: المكتب الإسلامي.

البيهقي، أحمد بن الحسين. (د. ت) *الاعتقاد*، تحقيق: أحمد عصام الكاتب، ط1، بيروت: دار الآفاق الجديدة.

التهانوي، محمد بن علي. (د. ت) *كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم*، تحقيق: علي دحروج، ط1، بيروت: مكتبة لبنان ناشرون.

خليل، محمد جواد. 1428ه/2007م. *كشف المتواري في صحيح البخاري*. ط1، مؤسسة البلاغ.

الدارقطني، علي بن عمر،1411هـ، *رؤية الله*، تحقيق: إبراهيم العلي، أحمد فخري الرفاعي، الأردن: مكتبة المنار.

الدارمي، عثمان بن سعيد، 1431هـ/2010م، *الرد على الجهمية*، ، تحقيق: أبو عاصم الشوامي الأثري، ط1، القاهرة: المكتبة الإسلامية.

الرازي، محمد بن عمر،1420هـ، *مفاتيح الغيب*، ط3، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الزجاج، إبراهيم بن السري، 1408هـ/1988م. *معاني القرآن وإعرابه*، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، ط1، بيروت: عالم الكتب.

الزمخشري، محمود بن عمرو1419هـ/1998م. *أساس البلاغة*، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية.

الزمخشري، محمود بن عمرو، 1407هـ. *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*، ط3، بيروت: دار الكتاب العربي.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر1394هـ/ 1974م. *الإتقان في علوم القرآن*، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

الشنقيطي، محمد الأمين، 1415هـ، 1995م. *أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن*، (د. ط). بيروت: دار الفكر.

الطبري، محمد بن جرير، 1420هـ، 2000م. *جامع البيان في تأويل آي القرآن*، تحقيق: أحمد شاكر. (د. ط) بيروت: مؤسسة الرسالة.

الطيبي، الحسين بن محمد. 1417هـ/1997م. *الكاشف عن حقائق السنن*، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط1، مكة المكرمة: مكتبة نزار مصطفى الباز.

العثيمين، محمد بن صالح. 1422 هـ، 2001 م. *أصول في التفسير*، ط1، المكتبة الإسلامية.

العمري، سامرة محمد، *ضوابط الدفاع عن الصحابة رضي الله عنهم دراسةً تأصيليةً*، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية. Vol 25, No2, 2017, pp 93-104.

القرطبي، محمد بن أحمد. 1384هـ/1964م. *الجامع لأحكام القرآن*، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم طفيش، ط2، القاهرة: دار الكتب المصرية.

القشيري، مسلم بن الحجاج (د.ت). *المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم*، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الكتاني، محمد بن أبي الفيض. (د. ت). *نظم المتناثر في الحديث المتواتر*، تحقيق: شرف حجازي، ط2، مصر: دار الكتب السلفية.

اللالكائي، هبة الله بن الحسن، 1423هـ/2003م، *شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة*، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، ط: 8، السعودية: دار طيبة.

الماوردي، علي بن محمد، *النكت والعيون*. (د. ت). تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم. (د. ط). بيروت: دار الكتب العلمية.

المُظْهِري، الحسين بن مسعود. (د. ت). *المفاتيح في شرح المصابيح*، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب، ط1، دار النوادر.

النجمي، محمد صادق. 1419ه. *أضواء على الصحيحين*. تحقيق: يحيى كمالي البحراني، ط1، قم: مؤسسة المعارف الإسلامية.